المكتبة
الحديثة
للأطفال

محمد عطية الإبراشى



الحمامة النبيلة

وقصص أخرى

دار المعارف

المكتبة الحديثة للأطفال

الحمامة النبيلة

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشى

عميد مفتشى اللغة العربية سابقاً

الطبعة السابعة منقحة ومزيدة

دار المعارف

ناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على أشرفِ المرسَلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . (وبعدُ) : فيسرنى أن أقدم للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصص الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفال ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصًا منّى على أن أضعَ أمامَهم المثلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصى فلا أتخيرُ منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤنا وبناتُنا فى هذهِ المجموعةِ ألوانًا من القصصِ الخياليةِ ، والواقعية ، والاجتماعية ، والخلقيةِ ، والعلميةِ ، والأدبية ، والجغرافية ، والتاريخية .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصالِ ؛ ففيها يجدُ مايرغّبه فى القراءةِ ، ويشوقُه إلى الاستمرار فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويه وضوحُها ، وسهولةُ لغتها ،

وجمالُ أسلوبِها ، وحرصُها على المثُل العليا فى النواحى الخلقيةِ والاجتماعيةِ والعاطفية ؛ فيمضىَ إلى نهايتها ، ومن هذه إلى تلك حتّى ينتهى منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ماصَعُب ،وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهم هذه القصص ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقّةَ الملاحظةِ ، وجمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهات ، والمدرسين والمدرسات ، سيجدون فى هذه المجموعة المنتقاةِ خيرَ مايُهدُون إلى أبنائهم وبناتِهم من ثروة تُغذى عقلَ الطفل ، وتنمّى خياله ، وتسمو بروحه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتها لَذةً وسروراً يشعرُ بهما الكبارُ أنفسهم حين يقرءونها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبة » قد قمتُ بواجبى نحوَ الجيل الجديد فى هذا العهد السَّعيد ، فى **جمهورية مصر العربية** ، والشرق العربى .

أسأل اللهَ التوفيقَ وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مجيب .

محمد عطية الإبراشى

الْقِصة الأُولى

الحمامةُ النَّبيلةُ

[قصة هندية]

اعتادَ أَحدُ صَيادِى الطُّيورِ أَن يَذْهبَ كلَّ يَوْم إلى الغَابةِ ، ويـأْخذَ مَعهُ بعضَ الحُبوبِ ، ومِصْيَدةً وقَفصاً كبيرًا ، فيُلقِى الحبوبَ ليَجْتَذِبَ بِها الطيورَ والْحَمامَ ، لتنزلَ منْ أَوْكارِها (أَعشاشِها) إلى الأَرْضِ . وحينما تنزلُ الطيورُ والْحَمامُ ، وَتبْدَأُ بالتِقاطِ الحَبِّ يَذْهَبُ الصيَّادُ وَراءَها بهدوءٍ ، ويَرْمى الشبكةَ فَوْقها ، فيُمسِكها ويـأْخُذُها ، ويَضَعُها فى القَفَصِ ، ثمَّ يَرجعُ إلى بَيْتِه ليَذْبحَ ما يُريدُ مِنها ، ويَبيعَ ما زادَ عَلَى حاجتِه .

اِسْتمرَّ الصَّيادُ هكَذَا زَمَناً طويلًا يَحتال على

الطُّيورِ حَتى يُغرِيَها ويَصْطادَها ، فكَرِهَتْهُ كلَّ الكَراهِيَة لطريقَتِهِ القاسِيَةِ فى مُعامَلَتِها .

وذاتَ يَوْمٍ كانَ فى الغابةِ يَصْطادُ كَعادَتِه ، فاشْتَدَّت الغُيومُ ، وتَكاثفَتِ السُّحُبُ ، وبَدَأَ مَطرٌ شديدٌ يتَساقطُ تَساقُطَ الماءِ مِن أَفْواهِ القِرَبِ ، واشْتدَّت العاصِفَةُ ، واشْتَدَّتِ الرِّياحُ حَتى وَقعَتْ بَعضُ الأَشجارِ ، وارتَفَعَت المياهُ فى كلِّ مكانٍ ، وحارَ الصِّيادُ فى أَمرِهِ ، لا يَعْرِفُ ماذا يَفعَلُ ، وَأَيْنَ يَذْهبُ ؟ وإلى أَىِّ جِهة يتَّجِهُ ؟ وأَخذَ يَجرى بَينَ الأَشجارِ يتَنَقَّلُ مِن ناحِيَة إلى أُخرى ؛ ليَبْحَثَ لهُ عنْ جُحْرٍ يلتَجِئُ إِليْه تحتَ شَجرة من الأَشجار .

وحينَما كان يَجرى يبْحَثُ عنْ جُحْرٍ يَسْتريحُ فيه ، وَيَتَّقِى به هذهِ العاصفةَ رَأَى حَمَامَةً كبيرةً مِسكينةً نائمةً عَلَى الأَرْض بَينَ الحياةِ والمَوْتِ ، تَكادُ(١) تموتُ

(١) تكاد : تقرب .

خَوْفاً منَ العاصِفَة ، فلمْ يَرْأَف الصيَّادُ بِحالها ، ولم يَرْحَمْها ، ولم يُنْقِذْها مِن وَرْطتِها[١] ؛ بل الْتَقَطَها من الأَرضِ ، ووَضَعَها فى قَفَصِه فى أَثناءِ العاصِفةِ ، وأَخَذَ يقاوِمُ المطرَ الشديدَ ، والرِّياحَ الشديدةَ ، ويَمْشى حينًا ، ويقَعُ حِينًا آخرَ . واسْتمرَّ عَلَى هٰذه الحال حتَّى وَصَلَ إلى شَجرةٍ ضَخمةٍ عِندَ جُذورها تَجاويفُ كَبيرةٌ ، تُشْبِهُ الكوخَ الصغيرَ ، فَجَلَسَ تَحتَها ليتَّقِى بها شِدَّةَ المَطَرِ ، وقد ابْتَلَّتْ ملابسُهُ . وأَصْبحَ كأَنّه شَخصٌ خارجٌ من البَحْرِ بِملابِسِه ، واستمرَّ تَحْتَ الشجرَةِ حَتى وَقفَ المَطرُ ، وانتَهت العاصِفةُ .

نَظَرَ الصيَّادُ فوَجد نَفْسَه بعيدًا جدًّا عنْ بيتِه ، ووَجَدَ بيْنهُ وبيْنَ البيْتِ مَسافةً ليْسَتْ بالْقصيرةِ ، ورأَى الطَّريقَ قَذِرًا لا يُمكِنُ السَّيْرُ فيهِ ، والشَّمْس قدْ مالَتْ إلى الغُروبِ ، فَصَمَّمَ[٢] على أَنْ يقْضِىَ لَيْلته

---

(١) ورطتها : شدتها . (٢) صمم : عزم

حَيثُ هُوَ فى مَكانِه تحتَ الشَّجرة الكبيرةِ فى الغابةِ ، ووَجَدَ بجانبه قطعةً منَ الخَشبِ ، فأَخَذَها وجَعلَها مِخَدَّةً لهُ ، ورقَدَ وهُوَ مُبْتَلٌّ ، وسأَلَ اللهَ أَن يَحفظَهُ من الحَيوانات المفْترسةِ ، ويُبعِدَ عَنهُ كلَّ مَكْروه فى تلكَ اللَّيلَةِ السَّوْداءِ .

وقدْ حَدثَ بالمصادَفَةِ أَنَّ الحَمامةَ الكبيرةَ الَّتى الْتَقطَها الصَّيادُ وهىَ بيْنَ الحياةِ والموْتِ ، ووَضَعَها فى قَفَصِه كانَ عُشُّها فوْقَ الشَّجرَةِ التى ينَامُ الصَّيادُ تحتها وقد انْتَظرَها زَوْجُها ذَكَرُ الْحَمَامِ فى العُشِّ ، وانْتظرَ رُجوعَها إلى عُشِّها كالمُعتادِ ، فلمْ تَرْجعْ ، فَأَخذَ يَبْكى ويَسْأَلُ : أَيْنَ زَوْجَتى الحمامَةُ ؟ لماذا لم تَرْجعْ إلى بيْتها حتَّى الآنَ ؟ إنَّها مَبعثُ الفَرَحِ والسُّرورِ لقلْبى. إنَّ الحياةَ لَنْ تكونَ سَعيدةً بدُونها . وبغَيْرِها لنْ أُحسَّ بأَىِّ راحَةٍ أَو هُدوءٍ . وَلنْ يكونَ البَيْتُ بيْتاً ما دامَتْ بَعيدةً عَنْه . واسْتمرَّ ذَكَرُ الْحمَامِ يَبْكى زَوجَتَهُ ،



وضع الصياد الهندى الحمامة فى القفص ، وزوجها فى العش يسأل : أين زوجتى الحمامة ؟

ويَسْأَلُ عنها حَتَّى سمِعَ الصَّيادُ بُكاءَهُ وكلامَهُ وهُوَ تَحتَ الشَّجرةِ .

وقَدْ سمِعَت الحمامَةُ وهى فى القَفَصِ صَوْتَ زوْجها وهُوَ فى العُشِّ ، فسُرّت سرورًا كَثيرًا باسْتماعِهِ ، وقالَتْ لهُ : لا تَشْغَلْ نفْسَكَ بى ، ولا تقْلَقْ(١) علَيَّ . فَأَنا محبوسَةٌ فى القفَصِ تَحتَ الشجَرة يا زَوْجى العزيز . ولا أَستطيعُ الْحضورَ إلَيْكَ . ولٰكِن اسمَعْ : إنَّ هُنا تحتَ هٰذهِ الشَّجرةِ ينامُ صَيَّادٌ هِنْدِىٌّ مسكينٌ. يَكادُ(٢) يموتُ منْ شِدَّة البَرد ؛ لأَنَّ مَلابسَهُ كلَّها مُبْتَلَّةٌ من المطر الشديدِ ، وَقَد اضْطُرَّ إلى أَنْ ينامَ بها وهىَ مُبْتلَّةٌ لأَنَّه لم يتَمكنْ من الرُّجوعِ إلى منزله، فالعاصفة كانَتْ شَديدَة ، والرِّياحُ قاسية ، وقدْ تاهَ فى الطريقِ . وابْتَعَد عنْ بيتِهِ ، واضْطرَّ إلى أَن يقْضِىَ لَيْلَته هُنا فى الغابةِ . وهُو الآنَ بَيْنَ الحياةِ والموتِ ؛ لِمَا قاساه

---

(١) تقلق : تنزعج .   (٢) يكاد : يقرب .

مِن البَرْدِ والمَطر . فَأَشْفِقْ عَليْه ، وارْأَفْ به . وافْعلْ كلَّ ما فى اسْتِطاعتِكَ لِتساعِدَه ، وَتُنقِذَ حَياتَهُ من المَوْتِ ؛ لأَنه فى خَطر شديد .

فَسُرَّ زَوْجُ الحمامةِ كلَّ السرورِ حينَما سَمِعَ صَوتَ زَوْجتِه ، وعَرفَ أَنها قريبةٌ منهُ ، ونزَلَ من العُشِّ ، وأَقْبلَ نحوَ الصيَّاد الهِندىِّ ، وتكلَّمَ مَعه ، وقالَ لهُ : أَيها الصيَّادُ الْمِسكينُ ، إنكَ تُرَى مُتعَباً كلَّ التَّعبِ ، وتُحِسُّ ببرْدٍ شديدٍ ، وملابسُك كلُّها مُبْتلَّةٌ ، فماذا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعلَ لمُساعَدَتِك وإنقاذِ حَياتِكَ ؟

فأَجابهُ الرَّجلُ : إنِّى أُحِسُّ حَقًّا ببرْدٍ شديدٍ ، وجسمى يَرْتَجِفُ . وأَكادُ أَموتُ منْ شدَّةِ البرْدِ ، وإنِّى فى حاجَةٍ إِلى نارٍ لتَدْفئَةِ نفْسى ، وتَجفيفِ ملابسى ، وإنْقاذى من الحالِ التى أَشعُرُ بها .

فطارَ ذكَرُ الحمامِ ، وأَخَذَ يَبْحَثُ عنْ أَوراقٍ جافةٍ ، وعِيدانٍ ناشِفةٍ بَيْنَ أَجْوافِ الشَّجَر الْكَبير . وأَحضَرَ

كلَّ ما وَجَدَهُ من هٰذهِ وتلْكَ حتَّى تَجَمَّعَ عِندَ الصَّيادِ ما يَكْفِى لإِيقادِ النَّار . وأَخَذَ الصيادُ حَجَرَيْن صَغيرَيْن منَ الزّلَطِ ، وبَدَأَ يَحُكُّ أَحَدَهما بالآخَرِ ، بعدَ أَن قَرَّبَهما من الورَق ، فَخرجَتْ شرارَةٌ أَوْقَدَ بها ورقَةً منْ أَوْراق الشَّجرِ ، ووَضَعَ الأَغصانَ والعِيدانَ الجافَّةَ فوْقَها ، وَأَوْقَدَ النارَ ، ووَضَعَ فوْقَها كَثيراً منَ الْقِطَع الكَبيرةِ منَ الخشبِ المُلْقَى بالقُربِ من الشّجرَة ، ودَفَّأَ الصيادُ نَفْسَهُ ، وجَفَّفَ ملابسَهَ على النَّار الْمُتقِدَةِ ، ثمّ قال لِذَكَر الْحَمَامِ :

لقَدْ زالَ عَنِّى الْبرْدُ ، وشَعَرْتُ بالدِّفْءِ ، ولكِنِّى أَشعُرُ بشِدَّةِ الجُوعِ ، فهَلْ تستَطيعُ أَن تَجدَ لى طعاماً آكلُهُ ، وأُزيلُ به أَلمَ الجوعِ ؟

فهَزَّ ذَكَرُ الحمامِ رأْسه وأَجابَهُ : إِنّنا نَعيشُ على ما نَجدُهُ من فُتاتِ الْخُبزِ ، وبَعضِ الحُبوبِ الْمنثورَةِ على الْأَرضِ هُنا وهُناكَ . وإِنّى آسِفٌ لأَن أَقولَ : إِنهُ

لَيْسَ عِنْدَنا فى الْعُشِّ طعامٌ أَستَطيعُ أَنْ أُقَدِّمَهُ لكَ ؛ لأَنّ الحمامَ لا يَخْزُنُ طعاماً ، ولكنَّه يَبْحَثُ عن طعامِهِ يَوْماً بيَوْمٍ ، وفى كلِّ يَوْم يجدُ منَ الرِّزْق ما يَكْفيهِ ويَكْفِى صِغارهُ ، ثم خَطَرَ بِباله فِكْرَةٌ اصفَرّ لها وَجْهُه فجأَةً ، وقالَ : ليْسَ أَمامى إلَّا أَن أُقدِّمَ لكَ نفْسى ، لتَشْويَنِى وَتَأْكلَنى ، فهلْ أُلقِى بنفْسى فى النَّار ؟ ولم يَنتَظر الطّائرُ حتى يَسْمعَ الجوابَ ، بلْ قَفَزَ نحو النَّار يُريدُ أَن يُلقِيَ نَفْسَهُ فيها . فمَنَعَهُ الرَّجُلُ من إلقاءِ نَفسِه فى النَّارِ . وقال لهُ : لقَدْ عَلَّمتَنى دَرْساً انْ أَنساهُ ، فقدْ أَنقَذْتَ حَياتى بما جمَعْتَ منَ الأَوْراقِ الجافَّةِ والأَعْشابِ ، وتُريدُ الآنَ أَن تضَحِّيَ بنَفْسِكَ وحَياتِك ؛ لتُزيلَ ما أُحِسُّ بهِ من الجُوعِ . فأَنْتَ أَكْثرُ منِّى شَفقَةً ورحْمَةً ، وأَكْثَرُ مِنِّى عَطفاً ورَأْفةً ، وقد تَعلَّمتُ منكَ أَنْ أَعْطِفَ على الطيْرِ والحيوان ، وأَرْأَفَ[١]

(١) أرأف : أرحم .

بالضَّعيفِ . وأُساعدَ المحتاجَ ، وأُنْقذَ الملْهُوف[١] ، وأُعينَ مَن يَحْتاجُ إلى المُساعَدةِ . وأُحْسِنَ إلى مَن أَسَاءَ إلَيَّ . فقد أَسأْتُ إلى الحمامَةِ ، وسَجَنتُها . ومعَ هذا طلبَتْ منْكَ العَمَلَ لإنْقاذِ حَياتى .

وشَكَرَ الصيادُ للطَّائرِ نُبْلَهُ ومُرُوءَتَه ، وأَطلَقَ سَراحَ الحمامَةِ وأَخْرجَها من القَفَصِ والسِّجن ، لِترْجعَ إلى زَوْجِها ، وتَنامَ فى عُشِّها . ونَدِمَ الصيادُ على ما مَضَى مِنْ قَسوته على الطُّيورِ . وعزَمَ على أَلَّا يقْتُلَها أَوْ يُؤْذِيَها بَعْدَ ما رَأَى نُبلَ الْحمامِ وشَفَقَتَهُ ، وإحْسانهُ إلى مَنْ أَساءَ إليْهِ .

---

(١) الملهوف : المظلوم يستغيث .

القِصّةُ الثّانِيَة

الثّعلبُ وَالْحِصانُ

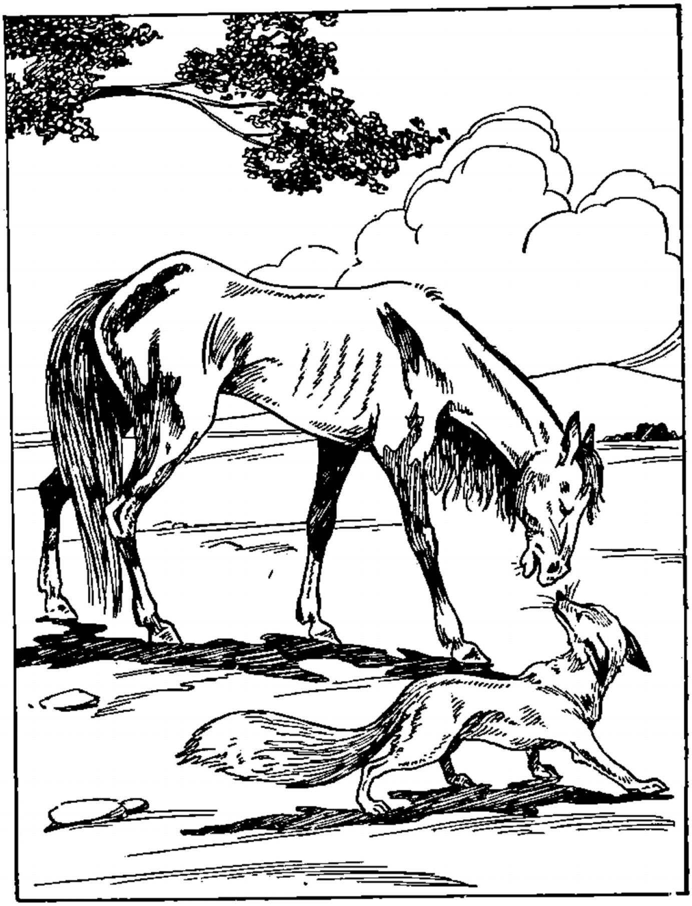
كانَ لأَحَدِ المُزارعينَ حِصانٌ قويٌّ جَميلُ الشَّكل ، يَسْتَخدِمُه فى الذَّهابِ إلى المَزرَعةِ ، وفى جَرِّ (الْعَربةِ) ، وفى حَملِ السِّمادِ . اسْتَمرَّ الحصانُ يَخدُمُ صاحِبَهُ سنواتٍ كثيرةً ، حتى كَبِرَتْ سِنُّهُ ، وضَعُفتْ قُوّتُه ، وصارَ غيرَ قادرٍ عَلَى الْعَمل. وَلِذلِكَ اسْتَخْسَرَ فيهِ صاحبُهُ الطعامَ ، وَفَكَّرَ فى طردِهِ والتَّخَلُّصِ منه ، وَنسىَ ما قامَ بهِ من عَمل ومُساعَدةٍ فيما مَضَى منَ الأَيامِ ، وقالَ لهُ : إنِّى لا أُريدُ أَن أَراكَ هُنا بَعدَ اليوْم ، فاتْرُك الإِصطَبْل ، واذْهَب إلى حالِك . ولن أَقبَلَك عِندى ثانيَةً إلا إذا رَجَعتْ إليكَ قُوَّتُكَ . وَأَثبَتَّ بالدليل أَنَّكَ أَقوَى منَ السَّبُعِ . وَفَتَحَ لهُ بابَ الإِصطَبل ، وأَخرجَهُ وطَردَهُ .

خَرَجَ الحصانُ المسكينُ الكبيرُ السِّنِّ مُتألِّماً من

مُعامَلةِ صاحِبِه وقَسْوتِه ، ونسيانِه أَعمالَهُ الماضِيَةَ ، وتَرَكَ الْقَريةَ وهُوَ حزينٌ ، وذَهبَ إِلى الغَابةِ القريبةِ وهُوَ لا يَعْرفُ ماذا يَفعَلُ . وأَخَذَ يسيرُ فى الغابةِ ، ويَنتقِلُ فيها من جهةٍ إلى أُخرى ؛ لِيَبحثَ لهُ عن مَكانٍ صغيرٍ يَقيهِ (يحفظُه) الرِّياحَ الباردَةَ ، ويَحْفَظُهُ من الْمَطرِ عندَ نزولِه . .

وَقد استَمَرَّ سائرًا فى الْغابةِ حتى قابَلَهُ ثَعلبٌ ، فرآهُ حزيناً مِسكيناً ، وَسأَلهُ : ماذا حَدَثَ لكَ أيها الصديقُ ؟ ولِماذا تَسْكتُ وتَنظُرُ إلى الأَرضِ ؟ وما السَّبَبُ فى حُزنكَ ؟

فأَجابَ الْحِصانُ الْمِسْكينُ : وَا أَسَفاه ! لَقَدْ ضاعَت الْعَدالةُ ، وكَثُرَ البُخلُ بيْنَ الناس ، وصاروا لا يُفكِّرونَ فى الْماضى . وانتَشَرَ الظُّلمُ وَحُبُّ النَّفسِ بينَهُمْ ، وَمُحالٌ أَن يَجتمِعَ العَدلُ وَالبُخلُ فى مَكان واحِدٍ . لَقَدْ نَسِىَ صاحبِي كلَّ ما قُمتُ به مِن عَملٍ فى



قال الثعلب للحصان : لا تفكر ولا تحزن

السَّنَواتِ الكثيرةِ الماضيةِ مِنْ حياتى ، يوْمَ كنْتُ قوىَّ الْجِسْمِ ، سليمَ الصِّحةِ ، قادِرًا على جرِّ (الْعربةِ) ، وحَمْل الْمَحصولاتِ الزِّراعِيَّةِ . ولِضَعفِى الآنَ وكِبَرِ سِنِّى ، وعَجزى عَنِ العملِ أَخرَجَنى سَيِّدى مِنَ الإِصطَبلِ ، وطَرَدَنى منْ بَيتِه ، وتَرَكَنى تائهاً فى الطريق ، وقالَ لى : «مِنَ الْمُحَال أَن أَقبَلَكَ عندِى ثانيةً إلا إذا رَجَعَتْ إليكَ قُوَّتُكَ . وَأَثْبَتَّ بالدليل أَنَّكَ أَقوَى منَ السَّبُعِ» . وَهُوَ يَعلَمُ كلَّ الْعِلْمِ أَنَّ مِنَ المُستحيل أَن يَرجعَ إلَىَّ شَبابى ، وتَرجِعَ إلَىَّ قُوَّتى بعدَ أَنْ صِرْتُ هَرِماً كَبيرَ السنِّ . ومعنَى كلامِهِ أَنّهُ لا يُريدُ أَن يَرانى ثانيَةً بعدَ أَنْ تَرَكَ لِى الحَبلَ على الْغاربِ (الرَّقَبة) ، وقالَ لِى اذْهَبْ حَيْثُ أَرَدْت . فَلَيْسَ أَمامى أَىُّ فُرصةِ الآنَ فى أَنْ أَرْجع إلى الإصطَبل فى بيتِ صاحِبى القديم .

فَتَأَلَّمَ الثعلَبُ لِحَالِه ، وقالَ لهُ : لا تُفكِّرْ ،

ولا تَحزَن ، ولا تَهتَم بما قيلَ لكَ ، وَابْتَسِمْ لِلْحَياةِ .
وإنى مُستعِدٌّ كلَّ الاِستِعدادِ لِمُسَاعَدَتِكَ ، حتى تَرْجعَ
إلى إصطَبلِكَ . وَنَصَحَ لهُ الثعلَبُ أَنْ يَنامَ على الأَرضِ ،
وَيَمُدَّ جِسْمَهُ ، ويَتظاهَر بالْمَوْتِ ، حتى يَرْجعَ إليهِ
بعدَ قليل .

فَنامَ الحصانُ ، ومَدَّ جِسمَهُ على الأَرض ، وَادَّعَى
أَنَّهُ قد ماتَ ، وعَمِلَ بنَصيحةِ الثَّعلبِ . وقال لهُ
الثعلبُ : سأَغيبُ عَنكَ قليلًا ، فَاستَمِرَّ فى مكانِكَ ،
ولا تَتَحَرَّكْ .

وقد تَرَكَهُ الثعلبُ ، وذَهَبَ إلى الْمَغارة الْقَريبةِ
التى يُقيمُ فيها السَّبُعُ – واسْمها العَرينُ – وقالَ له :
أَيُّها السَّبُعُ ، إنَّ بالْقُرْبِ مِنَّا حِصاناً مَيِّتاً ، فَتَعالَ
معى لِتَرَاهُ ، وَتَأْكلَ منهُ أَكلةً لذيذةً .

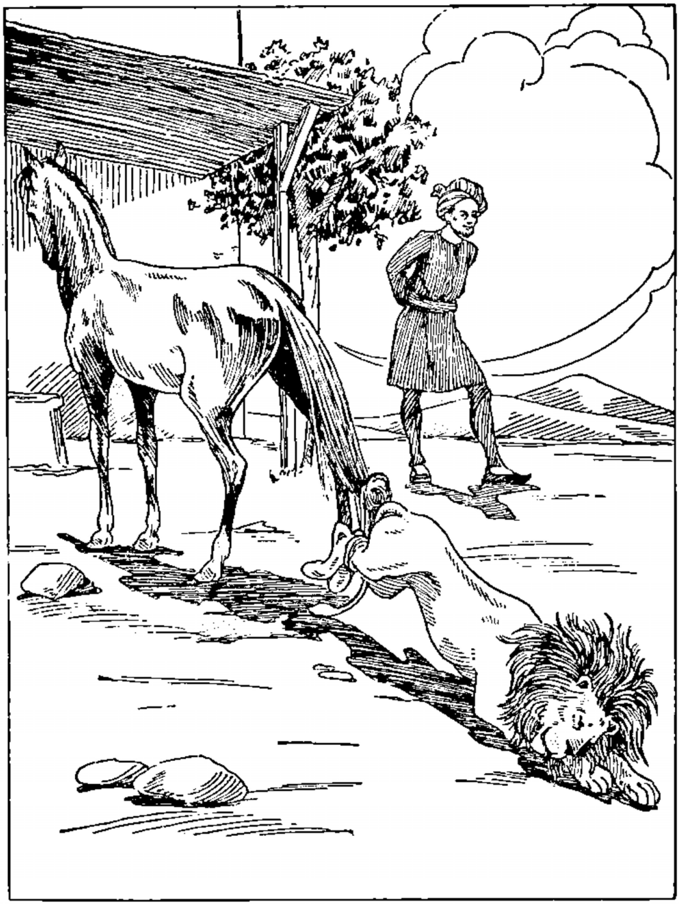
فَسُرَّ السَّبُعُ سُرُورًا كَثيرًا ، وفَرِحَ فَرَحاً عظيماً
عِندما سَمِعَ هٰذا الكلامَ ، وقامَ فى الحال مُسرعاً ،

وَمَشَى مَعَ الثّعلبِ ، حتى وَصَلا إلى المَكان الذى نامَ فيه الْحِصانُ ، ثُمَّ أَرادَ السَّبُعُ أَن يَبدَأَ الْأَكلَ ، فقال لهُ الثعلبُ : أَيُّها السَّبُعُ ، إنَّكَ لنْ تَسْتَريحَ إذا أَكَلْتَه هُنا . وسأَذكرُ لَكَ الطَّريقَةَ التى تعمَلُها حتى تأْكلَ على مَهلِك ، ولا يُزْعِجَكَ أَحَدٌ .

فقال لهُ الْأَسَدُ : اُذكر الطَّريقةَ أَيُّها الصَّديقُ الماهِرُ .

فقالَ الثعلبُ : إنَّ أَحسنَ طريقة أَن أَربُطَكَ جيِّدًا فى ذَيْلِ الحِصانِ ، وَحينئذٍ يُمكِنُكَ أَن تَشُدَّهُ وتأْخُذَهُ مَعَك إلى عرينِكَ ، ومَكانِكَ الذى تُقيمُ فيه ، وَتأْكُلَ منه بقَدرِ ما تشاءُ فى أَىِّ وقتٍ تُحِبُّ ، من غير أَن يُضايِقَكَ أَحدٌ ، أَو يَشترِكَ معَك شَرِيكٌ .

فأُعجبَ الْأَسدُ بهٰذهِ النَّصيحةِ ، ونامَ بهُدُوءٍ أَمامَ الثَّعلبِ ، لِيَرْبُطَهُ فى ذَيل الحِصان . وفى الحال بَدَأَ



الحصان يقول : لقد انتصرت على السبع يا سيدى !

الثعلبُ يَربطُ. أَرجُلَ الأَسدِ بسُرعة رَبطاً متيناً حتى لا يستطيعَ أَنْ يَتحَرّكَ ويُخَلِّصَ نفسَهُ منْ هذا الرِّباطِ. مهما يُحاول. وَبعدَ أَن انْتَهى الثعلبُ منْ رَبطِ. أَرجُل الأَسدِ فى ذَيل الحِصانِ بطريقَة متينةٍ ضَرَبَ الثَّعلبُ الحِصانَ بيَدِهِ ، وربَّتَ على كَتِفِه ، وقالَ لهُ : قُمْ أَيُّها الحصانُ ، قُمْ واذهَبْ إلى بَيْتكَ .

فَقامَ الحِصانُ من نَوْمِه ، وشَكَرَ للثّعلبِ مُساعدتَهُ وسارَ راجعًا إلى قَريةِ صاحبه ، وأَخَذَ يَجُرُّ السَّبُعَ وراءَهْ وَوَجَدَ السَّبُعُ نَفسَهُ عاجزًا عن الحَرَكةِ ، فَبَدَأَ يزْأَرُ زَئيرًا شديدًا ، ويَصيحُ بأَعلى صَوتِه ، حتى أَزعَجَ جميعَ الطيور فى الْغابةِ ، وأَقْلَقَها من نَومِها ، فَطارتْ خَوْفاً من ذٰلِكَ الصَّوتِ الْمُزعِج . وَلم يُبالِ الحصانُ احتِجاجَ الأَسدِ . واسْتَمرَّ سائرًا بهُدوءٍ فى طريقِه وهُوَ مسرورٌ بينَ الحقولِ فى الطَّريق الزِّراعىِّ حتَّى وصلَ إلى القريةِ ، ووصَل إلى إصطَبلهِ فى منزلِ صاحبه .

وَأَخَذَ الحِصانُ يَصْهلُ صَهيلًا قويًّا ، فَسَمِعَهُ

صاحبُهُ ، فَخَرَجَ ليَرى ما حَدَثَ . فَوجَدَ حِصانَه القديمَ الكبيرَ السِّنِّ ، وقدْ رُبِطَ فى ذَيلهِ أَسدٌ مَيِّتٌ ، فَسأَلَهُ : ماذا فَعَلْتَ ؟

فأَجابَ الحصانُ : لَقَدْ قُلتَ لى إِنَّكَ لنْ تَقبَلَنى ثانيةً إِلَّا إِذا أَثْبَتُّ بالدليل أَننى أَقوَىَ من السَّبعِ . وهذا هُوَ السَّبُعُ يا سيِّدى . وقد انتصَرْتُ عليهِ ، وَأَتَيتُ به إِلى هُنا ، وهُوَ لا يَسْتطيعُ الحَركَةَ ، وقَدْ نَفَقَ — أَىْ ماتَ — منْ جَرِّه طولَ الطريقِ .

وَحينما رَأَى المُزارِعُ ما قامَ به حصانُهُ الأَمينُ ، تَذَكَّرَ أَعمالَهُ الْماضيةَ ، وَتأَلَّمَ لِحَالِه ، وحَنَّ إِليه ، وعَطفَ عليهِ ، ورَضِىَ عنه ، وقالَ لهُ : سَتعيشُ فى إِصْطَبْلِك كما كُنتَ تعيشُ ، وسأُقدِّمُ إِليكَ ما تُريدُ من الطعامِ والْماءِ ، وسأُعْنَى بكَ كلَّ العِنايةِ ، ولنْ تُحِسَّ بجوعٍ أَوْ عَطَش بعدَ اليوْم .

فَشَكَرَ الحصانُ لَهُ شُعورَهُ وعَطفَهُ وشَفَقَتَه ، وعاشَ فى إِصطَبله حتى نَفَقَ وماتَ .

القِصَّة الثَّالثة

[مِن الأَدَبِ اليونانى القديم]

فى سَبيل الْعِلْم

نَشَأَ طالبٌ يونانىٌّ[1] فى إحدى قُرَى بلادِ اليُونان الْقَدِيمةِ ، قَوىَّ الْعَضَلِ ، مَفْتُولَ السَّاعِدَيْنِ ، عَرِيضَ الْمَنْكِبَيْن ، تَعلَّمَ الْمُصارَعةَ وحَذَقَها ، وَصارَ ماهِرًا فِيها ، فما نازَلَ خصْماً إلَّا تَغلَّبَ عليْهِ وَقهَرَهُ . فَنالَ إعجابَ قوْمِه، وأَحبَّهُ الكلُّ واحْترَمُوهُ . ولقد كان فقيرًا مُعْدِماً ، ولٰكنَّهُ وجدَ فى الْمُصارَعَة مَوْرِدَ عيْشٍ يُدِرُّ عليْه شيئًا مِن الرِّزْقِ ، وأَموَالاً تَسُدُّ حاجتَه .

كانتْ بِلادُ اليونان فى ذٰلك الْعصْر عَلَى دَرجة عظيمةٍ مِنَ الحَضارَةِ والرُّقِّ ، تَقَدَّمتْ فيها الفُنُونُ

(١) يسمى (إكلين ثيس)

والْعُلومُ ، وارْتَقَتِ الْمعارفُ . وكانتْ جامِعةُ (أَثينا) من أَكبر الْجَامِعاتِ وَأَعْظمِها ، قَصَدَهَا الطلاَّبُ مِنْ كلِّ صَوْبٍ وحَدَبٍ ، يَرْتَشِفونَ منْ فيْض عُلومِها . وَقامَ بالتَّدْريس فيها جَماعةٌ منْ أَكابرِالْعُلماءِ فى ذلكَ العَصْرِ ، وكانتْ تُدْرَسُ فيها الْعُلومُ الرِّياضِيَّةُ . وَعلمُ الْفَلَكِ ، والْموسيقى ، والْعُلومُ الطَّبيعيَّةُ .

وكانَ مِنْ بينِهؤُلاءِ الْعُلماءِ فَيْلسوفٌ بارعٌ يُسَمَّى (زينُونَ) . أَقبَلَ عَليْهِ الطُّلاَّبُ منْ كلِّ الْبلادِ ، يَأْخُذُونَ عنْهُ الفَلْسَفةَ . ويَسْتمعونَ إلى آرائِه السَّديدَةِ ، وَعلْمِهِ الْغزير . وقدْ ذاعَ صِيتهُ ، وانْتَشَرَتْ آرَاؤهُ فى جَميعِ الْبُلْدَان .

وَعلِمَ بهِ الطّالبُ الشَّابُّ فَتاقَتْ نَفْسُهُ واشْتاقتْ إلى تَلَقِّى الْفَلْسَفة عليْهِ ، وَلَكِنَّ فقْرَ الطَّالبِ وَحاجَتهُ منَعَاهُ مِنَ الْوُصُولِ إلى غايتِهِ ، غيْرَ أَنَّ نَفْسَهُ الطَّموحَ

الْوَثَّابَةَ إلى الْمعَالى أَبَت الخمولَ والتّقاعُدَ فَبَدَأَتْ تُفكِّرُ فى أَمرها .

وَأَخيرًا عَزَمَ على السَّفر ، مُعْتمدًا على الله وعلى ساعِدَيْه المفْتولَيْن ، وقوَّتهِ التى أَعْطاهُ الله إِيَّاها . خَرجَ منْ قَرْيتِه قاصدًا (أَثينَا) وهوَ لاَ يَمْلِكُ سِوَى ثَلاَثَةِ دَراهم ، وقد قَطَعَ الطَّريقَ على طولهِ سائِرًا على قَدَمَيْه ، غَيرَ عابِىءٍ ولا مُكتَرثٍ بِما يُلاقيهِ مِنْ مَتاعبِ السَّفر وَأَهْوالِهِ .

ولمَّا بلَغَ (أَثينا) قَصَدَ جامِعَتَها ، وَسَأَلَ عنْ (زيْنُونَ) الْحَكيمِ ، فتغامزَ الطُّلاَّبُ . وجَعلوا يَنْظرونَ إِليْهِ نَظْرَةَ احْتِقار ، ثمَّ قالَ لهُ واحدٌ منْهُمْ : «تَسْأَلُ عنْ "زينُونَ" الْفيْلسُوف ، وهلْ هُناكَ فى الدُّنْيا مَنْ يَجْهَلُهُ ؟ » .

فقالَ لهُ الشَّابُّ[١] : « عَفْوًا يَا سَيِّدى، إِنَّنى غريبٌ

---

(١) إكلين ثيس .

جئتُ أَطلبُ الْفلْسَفَةَ والحِكْمةَ على يَدَى الْفيلَسُوفِ العَظِيمِ ، وأَكونُ شاكِرًا لكَ حُسْنَ مَعرُوفكَ لوْ دَلَلْتنِى عليْهِ » . فقادَهُ إلى مَجْلِسِه .

أَرادَ الطَّالبُ الشَّابُّ أَنْ يحضُرَ دُروسَ الْفيلَسُوف (زينُون) . ولٰكِنَّ إدارةَ الجامِعةِ طَلَبتْ إليْهِ أَنْ يَدْفَعَ الْأَجْرَ أَوّلاً ، فتأَخَّرَ بِضْعةَ أَيَّامٍ ، ثمَّ رَجَعَ ودَفَع ما طَلَبَتْهُ الجامعةُ منَ النُّقودِ الَّتى تَتَقاضاها كلَّ أُسْبوعٍ ، واتَّخَذَ مَجْلِسَهُ بَينَ الطُّلَّابِ .

أُعْجِبَ الطَّالبُ بِأُسْتاذِه منْ أَوّل دَرْس حَضَرَهُ ، فأَقْبَلَ عليْهِ يُنْصِتُ لِكلِّ ما يَقولُ ، ويَنْتَبهُ لِكلِّ ما يَسْمَعُ ، وتَعى (تَحْفَظُ) ذاكِرتُهُ كلَّ ما يُلْقِيه أُسْتاذُهُ ، لاَ يَنْصَرفُ عن الدَّرْس ، وَلا يَتأَخَّرُ عَنْ مَوْعِدِه . وَإذا صَعُبَ عليْهِ رأْىٌ اسْتَوْضَحَ أُستاذَهُ ؛ وإنْ ظَهَرَ لَهُ مُشْكِلٌ نَاقَشَهُ فيهِ ، حَتَّى يَسْتَبينَ لَهُ الطريقُ .

فَنالَ بذلكَ إِعْجَابَ أُستاذِهِ ، فَقَرَّبهُ منْ مَجْلِسه ، وأَحَلَّهُ منْ نَفْسِه مَنْزِلَةً عاليَةً .

فأَصابتِ الْغيرَةُ إِخْوانَهُ ، وأَخَذوا يَعْجَبونَ منْ ذٰلك الطَّالبِ الْغَريبِ ، ذِى الثِّيابِ الرَّثَّة ، والْمِعْطَفِ الْمُمزَّق الَّذِى اسْتطاعَ بجِدِّه واعْتِمادِه على نَفْسِه مُدَّةً قَليلَةً أَن تكونَ له فى نَفسِ أُسْتاذِه تلكَ الْمَكانَةُ ، وَهذهِ الْمَنْزِلَةُ الَّتى اخْتَصَّه بها دُونَ إِخوانِه ، وَازْدَادَ الْحِقْدُ عَلَيْهِ ، ونَمَتِ الْبَغْضاءُ ، فَرَاحُوا يَعْمَلُونَ لِلْكَيْدِ لَهُ ، وَالنِّكايَةِ بهِ ، أَفْرَادًا وَجَماعاتٍ ، فَكانُوا إِذَا رَأَوْهُ مُقْبلاً أَشارُوا إِلَى مَلَابسِهِ الْمُمَزَّقَةِ ، وشَعْرِهِ الْأَشْعَث ، وتَغامَزُوا عَلَيْه ، وأَسْمَعُوهُ وابلاً مِنَ السُّخْريةِ ؛ حَتَّى إِذَا ما أَخَذَ مَجْلِسَهُ بَيْنَهُمْ سَلَقُوهُ بأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ، وأَهانُوهُ بكلامٍ شَدِيد، وَحاوَلُوا النَّيْلَ مِنْهُ ومِنْ كَرَامَتِهِ وَشَرَفِهِ . ولَقَدْ كانَ لهُ مِنْ قُوَّةِ جسْمهِ ، وشَجاعتِهِ وجُرْأَتِه ما يَكْفُلُ لَهُ رَدَّهُمْ عنْ غَوايتهم ، وإِيقافَهم عندَ حَدِّهم ،

ولٰكنه لم يَأْبهْ لِهٰذا . وَلم يهتَمّ ، وَترفَّعَ عن الإِنصاتِ لِتُرَّهاتِهم ، وخُرافاتهمْ وأَكاذيبهم ، وأَبَى أَنْ يُجاريَهم فى سُوءِ مَسلكِهم ، وعفَّتْ نفْسُه عن أَن تُقابلَ الْإِساءَةَ بمثلِها . فَزَاد هٰذا مِن مَقتهم وبُغضِهم لَه ، وكُرْهِهم إيَّاه . وفى يوْمٍ منَ الأَيام دَبَّرُوا لهُ مَكِيدةً سِيقَ منْ أَجْلها إِلَى مَجلِس الْقضاءِ مُكبَّلا بالأَصْفادِ والأَغلال ، حَيثُ اتُّهمَ بالسَّرقةِ ، وبَرْهنوا على فَعلتهم الَّتى فَعلوها بأَنه فقيرٌ مُعْدِمٌ لا يملِكُ من حُطامِ الدنيا شَيئاً . فأَنَّى له المالُ الذى يدْفعُ منهُ المصْرُوفاتِ الجامِعيةَ كلَّ أُسْبوعٍ ، ويُنفِقُ على نفْسِه منْه .

مثَلَ الطالبُ (وَقفَ) بَينَ يَدَى الْقضاءِ ، وكانَ شُجاعاً ، حادَّ الذِّهن ، فَصيحَ اللسانِ ، قوىَّ الحُجَّةِ ، ولقد كانتْ نزاهةُ نفسِه وبَراءَتُها أَكبرَ مشَجِّع له عَلَى أَن يَقفَ مَوْقفَ الشَّريفِ ، الذى لم تُدنَّسْ صَفحاتُ ماضِيه بما يترفعُ عنْه أَمثالُهُ . وَقفَ الطالبُ وقالَ :

«لَنْ أَنطِقَ بكلِمةٍ أُبرِّئُ بها نفْسى الآنَ ، بَيْدَ أَنِّى أَطلبُ إِليْكمْ أَنْ تُحضِروا بُستانِيَّ قائدِ الشُّرَطِ فى هٰذهِ المدينةِ ، وأَرمَلَةَ البطَل (إخيلَ) ؛ فإنهما يَعرفانِ مَصدرَ المال الذى أُنفِقُ منْه . فأُحضِرَ الشاهدان ، ولمَّا سُئِلَ البُستانى عن علاقتِه بالطالبِ ، قال : «إنه يأْتى إلَيَّ كلَّ صَباحٍ فيُساعدُنى فى سَقْىِ الْحَديقةِ . وتَشْذيبِ أَغصانِها . وتنْظيفِ أَرضِها من الأَعشاب الطُّفَيْلِيَّة الزائدةِ ، وفى نَظير ذٰلك أَنقُدُه وأَدفعُ له أَجرًا يناسبُ عملَهُ» .

أَمَّا الأَرمَلةُ فقدْ تقدَّمتْ إلى القضاءِ . وقالتْ : «إنهُ يَأْتى إلَيَّ كلَّ يومٍ ، ويَطحَنُ لِى القمْحَ الذى أَحْتاجُ إليْه أَنا وأَوْلادى ، وأُعطِيه أَجرًا عَلَى ذلكَ بقدْرِ ما يَسْمحُ به مَوْردُ رزْقى» .

عِند ذٰلك نظَرَ القُضاةُ إلى الطالبِ بكلِّ إجْلالٍ وإكْبار ، وأُعجِبوا بحبِّه الصادق للعِلمِ ، واعْتمادِه عَلى

نَفسه فى كَسبِ قُوته ، وتوْفير الْمَصْرُوفاتِ الجامِعيَّةِ ، وبعْدَ أَنْ تَدَاوَل القُضاةُ سِرًّا قَدَّموا لِلطالبِ مَبلغاً كبيرًا مِنَ المال ؛ لِيَسْتعينَ به علَى إتمامِ تَعلِيمِه . وكان الفَيلسوفُ (زينُونُ) حاضِرًا تِلكَ المُحاكمة ، فأَقبَلَ على تِلميذِه يضُمُّه إليْه ، ويُقَبِّلهُ فى عَطفٍ وحَنان ، ثمَّ قال : « إننَّى قَبلْتُ هٰذا الطَّالِبَ بالمَجَّانِ ، ووَهبْتُ لهُ قَصرى الصَّغيرَ يَنزلُ فيهِ ضَيْفاً مُكَرَّماً ما دامَ فى طَلبِ الْعِلمِ » .

ولٰكِنَّ الطَّالبَ وَقَف مَرفوعَ الرَّأْس ، فى عِزَّة وإباءٍ . وقال : « شُكرًا لكم أَيُّها السادةُ . وإنَّنى لأَعْتذِر عنْ قَبُول تِلك المِنْحَةِ الَّتى يُقدِّمُها إلىَّ حضراتُ القُضاةِ ، وأَرْجُو منْ أُستاذِى العَظيمِ أَن يُعفِيَنى منْ قَبُول هِبَتِه . وأَنْ يَسمحَ لِى بحُضُور المُحاضَراتِ الجامِعيَّة نَظيرَ ما أَدْفعُه منْ أَجْرٍ لأَنَّ نَفسى تأْبَى علىّ غيرَ هٰذا » .

ثمّ صَمتَ قَليلاً وقال : « ما دامَ لِى ذلكَ الساعدُ

فإنَّنى قادرٌ على كَسْب عَيشِى ، ونَفقاتِ تَعليمى ، ولَنْ يَستحِقَّ التَّعليمَ بالمَجَّان مَن كان قادِرًا على دفْع المَصْرُوفاتِ » .

ازْدادَ إعْجابُ (زينُونَ) الحَكيمِ بتِلميذِه ، وأَحبَّ مِنْه عَزمَه الصَّادقَ ، وعِزَّةَ نفسِه ، وَإباءَهُ وشَمَمه ، واعْتمادَهُ عَلى نَفسِه فى كلِّ شَىْءٍ ، وشَغَفَهُ العظِمَ بالعِلم.

القصة الرابعة

غُلامٌ ينتَصِرُ عَلَى الدوقِ ولِنْجتُون

كانَ أَحَدُ الزَّارعينَ بإنجلترا يعمَلُ فى حقلٍ له ، فرأى فِرْقَةً من الصَّيادينَ أَصْحاب المعاطِفِ الحمراء ،قد ركِبوا جِيادَهم ، وخرجوا لِصَيْدِ الثَّعالِبِ ، تَتْبَعهم كلابهُمْ ، وأَرادوا أَن يَعْبُروا ذلك الحقلَ المحُوطَ بسورٍ من الخشبِ والأَشواكِ والأَسلاكِ . فقَصَدوا بابَ الحقل ، فنادى الزارعُ أَحدَ غِلمانه . وأَمَرَهُ بالإِسراعِ فى إغلاق البابِ قبلَ أَن يعبُرَه أَحدٌ من الصيادين ؛ إِذْ كان يكرَهُ أَن يَمُرُّوا بحقلِه ؛ لأَنَّ النباتَ كان صغيرًا لا يَحْتَمِلُ أَن يُداسَ بحوافِرِ الْخَيْل . فأَسرَع الْغلامُ وأَقفلَ بابَ الحقل قَبْلَ أَن يَصِلَ الصيادون إِلَيه .

وحينَما وصَلت الفِرقَةُ إلى البابِ قال أَحدُ الصيَّادين :

افْتحِ البابَ فى الحالِ يا بُنَىَّ ؛ لأَننا نريدُ أَن نعبُرَ ونمُرَّ بهذا الحقل .

فأَجابَ الغلامُ : إنى آسِفٌ يا سيدى لأَنى لا أَستطيعُ أَن أَفتَحَهُ ؛ فقد أَمرنى صاحبُ الْمَزْرَعَةِ بأَلَّا أَسْمَحَ لِأَحَدٍ باجْتِيازِ الحقل . فلا يمكنُنِى أَن أَفتحَ لك البابَ بنفسى ؛ كما لا يمكنُنى أَن أَسمحَ لكَ بفَتْحِه .

وفى أَثناءِ ذلك النِّقاشِ حضرَت بَقيَّةُ فِرْقةِ الصَّيْدِ ، وَسَمِعَت المناقَشَةَ ، فَاغْتَاظَ أَحدُ الصَّيادينَ ، وهَدَّدَ الغلامَ بضَرْبه بالسَّوْطِ إذا لم يَفْتَح البابَ فى الحال .

فأَجابَ الغلامُ : إنى مُنَفِّذٌ أَمرَ سيدى ، ولن أَفْعَلَ أَكثرَ من القيامِ بالواجبِ عَلَىَّ .

فَتَقَدَّمَ إليه أَحدُهم بجُنَيْهٍ ليسمَحَ لهم بالمرور . وكان ذلك الجُنَيْهُ مُغْرِياً لِمِثْلِ هذا الغلامِ الفقير الذى لم يَمْتَلِكْ فى حياتِه قليلًا ولا كثيرًا من النقود ، ولكنّه تَذَكَّرَ وَاجِبَه . ورفَضَ أَن يُخالِفَ أَوامِرَ سَيِّدِهِ .

تألَّمت فرْقَةُ الصَّيْدِ كثيراً لهذا التأْخير . وفى النهايةِ تقدَّمَ رجلٌ مهذَّبٌ كريمُ الخلُق من عظماءِ الرجال ، تَبْدُو عليه الهَيْبَةُ والوَقارُ .

وقال للغلام : إنك لا تعْرِفُنى يا بُنَىَّ : أنا (الدوق ولِنْجتُون) لم أعْتَدْ أن أرَى أحدًا يَعْصى أمْرى . وإنِّى آمُرُك يفتح الباب فى هذه اللحظةِ ؛ حتى نستطيعَ المرورَ .

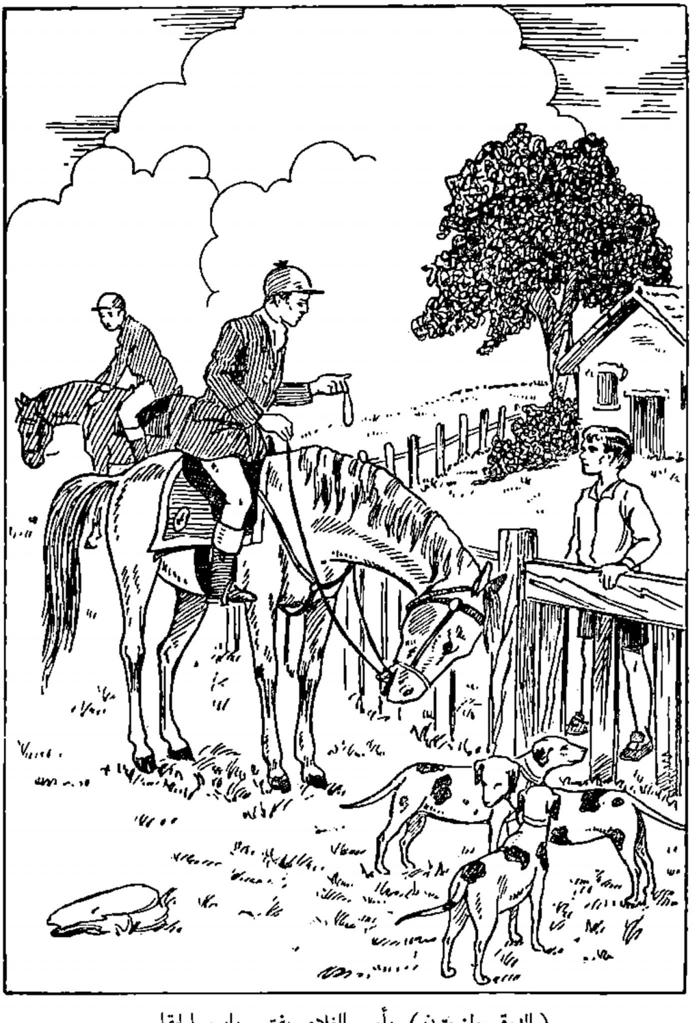
فنظرَ الغلامُ إلى ذلك القائِد العظيم ، وقد أُعْجِبَ به كُلَّ الإعجاب ؛ فقد سَمعَ بعَظَمَتِهِ وانتصاراتِه الكثيرة ، وأحَسَّ بفخرٍ كبير وَهو يَتَحَدَّثُ مع رجل وقورٍ عظيمٍ مثل (الدوق ولِنْجتُون) ، ثُمَّ خَلَعَ قُبعَتَه احْتراماً له ، وانْحنى إجلالاً وقال :

« إنى واثِقٌ تمامَ الثِّقةِ بأن (الدوق ولِنْجتُون) لا يُحِبُّ أن أعْصىَ أوامرَ سَيِّدى . ويجبُ علَىَّ أن أحافِظَ على إغلاق هذا البابِ ، ولا يمكنُنى أن أسمحَ لأحدٍ

أَن يَمُرَّ بالحقل بغير إِذنِ سيدِى » .

فسُرَّ (الدوق) بإِجابةِ الغلام ، ورفعَ قُبعتَه تحيةً له ، وقال : « إِنى أُعْجَبُ بغلامٍ لم يُؤَثِّرْ فيه الإِغراءُ بالرِّشْوَةِ . ولم يتأَثَّرْ بالتَّهديدِ بالعقابِ إِطَاعَةً لِسيدهِ . وإِن فى استطاعتى أَن أَنتصِرَ عَلَى العالمِ كلِّه بجيشٍ يكون كلُّ جندىٍّ من جنوده مثلَ هذا الغلامِ » .

وفى النهايةِ تركت الفِرقةُ هذه المحاولةَ ، وبحثت عن طريق أُخْرى ، وحوَّلت خيولَهم إِلى تلك الطريق . وهنا صاحَ الغلامُ مسرورًا وقال : « لقد فَعَلْتُ ما لم يسْتَطِعْ (نابليونُ) أَن يفعلَه ؛ فقدِ انتصَرتُ على (الدوق ولِنْجتون) » .



(الدوق ولنجتون) يأمر الغلام بفتح باب الحقل

القِصَّة الخامِسَة

الإِخْوَةُ الثّلاثَةُ

كانَ لِأَحَدِ الْمُلوكِ ابْنانِ بَلَغا الْغايةَ فى الْمَهارَةِ والذكاءِ ، ولكنَّهُما كانا مُحِبّين لإِضاعَةِ الْوَقْتِ ، والتَّبْذِير فى النَّفَقَةِ ، يُهْملانِ أَعْمالَهُما ، ولا يُبْقِيان عَلى شىءٍ مِمّا يَحْصُلانِ عَلَيْه مِنَ النقُود . وكانَ لَهُما أَخٌ صغِيرٌ يُسَمَّى (السَّاذَجَ) ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرْزَقْ مِنَ الْمَهارَةِ والذَّكاءِ نَصِيباً كبيرًا ، هٰذا إِلى هُدُوءٍ فى طَبْعِهِ ، وسَذاجَةٍ فى تَصَرُّفاتِه . وكانَ أَخَوَاهُ يَضْحَكان مِنْهُ ويَهزآن بهِ ، ويَظُنَّانِ أَنَّ نَجاحَهُ فى الحَياةِ أَمْرٌ بَعيد .

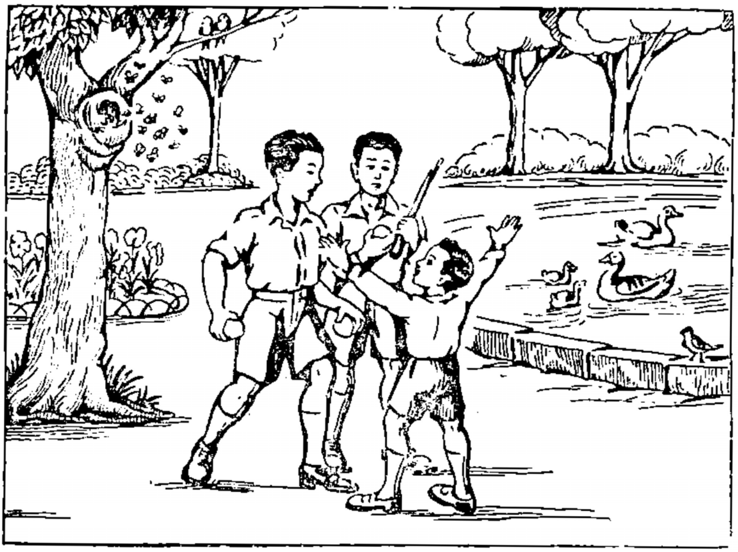
وذَاتَ مَساءٍ خَرَجُوا جَميعاً لِلرِّياضَةِ فى الحُقُول ، وفى طَريقِهِم إِلَيْها وجَدُوا مَسْكَناً لِلنَّمْل، فأَرادَ الْأَخَوَان

الْكَبيرَان أَنْ يَهْدِما ذٰلكَ الْمَسْكَنَ حتى يُشاهِدَا النَّمْل يَجْرى مَذْعُورًا خائِفاً ، يَحْمِلُ ذَخيرَتَهُ إلى مَكانٍ أَمينٍ ؛ ولٰكِنَّ الْأَخَ السَّاذَجَ قالَ لَهُما : « اتْرُكا تِلْكَ الحَشَرَاتِ الضَّعِيفةَ ، وَلا تُؤْذِياها بِهَدْمِ مَسْكَنِها الْجَميل ، الَّذِى طَالَما تَعِبَتْ فى تَهْيِئَتِهِ وَإِعْدَادِه . فَسَمِعَ الْأَخَوَانِ نَصِيحَتَهُ واسْتَمَرَّ الْجَميعُ فى سَيْرِهِمْ حتَّى وَصلوا إلى بُحَيْرَةٍ فِيها كَثيرٌ مِنَ البَطِّ يَتَمَتَّعُ بالسِّبَاحَةِ ، ويَلْهُو وَيلعَبُ فَوْقَ سَطْحِ الْماءِ . فَهَمَّ الْأَخَوَانِ الْكَبيران بِصَيْدِ إحْدَى الْبَطَّاتِ لِشَيِّها وأَكْلِها.

فَقالَ أَخُوهُما السَّاذَجُ : « أَرْجُو أَلَّا تَمَسَّا هٰذا الْبطَّ الْمِسْكينَ بِسُوءٍ ، واتْرُكاهُ يَهْنَأُ بالحياةِ ؛ فإِنِّى لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَرَاكما تَقْتُلان بَطَّةً مِنْها » . فأَطَاعَهُ الْأَخَوَانِ ،وسَمِعا نَصِيحَتَهُ ، وتَرَكا الْبَطَّ يتَمَتَّعُ بالْحياةِ.

ثَمَّ سارُوا فى طَريقِهِمْ حتَّى وَصلوا إلى خَلِيَّةٍ مِن خَلايا النَّحْل تحْتَ شَجَرَةٍ فى الْحَديقَةِ ، وكانَ الْعَسَلُ

يَبْدُو وَيَظْهَرُ مِنَ الْخَلِيّةِ . فَسَوَّلَتْ(١) لِكلٍّ مِنَ الأَخَوَيْنِ الذَّكِيَّيْنِ نَفْسُهُ إِشْعالَ النَّار تحْتَ الشَّجَرة لِتفرْقَةِ النَّحْل ؛ حتى يَتَمكَّنَ مِنْ أَخْذِ ما يُحِبُّ من الْعَسَل . ولٰكنَّ الْأَخَ الأَصْغَرَ مَنَعَهُما مِنْ ذلِكَ قائِلًا : «لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ فى شَىْءٍ أَنْ تُؤْذِيَا النَّحْلَ فى خَلاياهُ ،



الإخوة الثلاثة يتنزهون ، والأخ الأصغر أكثر حكمة ورأفة

---

(١) سولت : رغبت .

وتُفَرِّقا جَمْعَهُ ، ويَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَراكما تحْرقانِه بالنَّار. فاتَّبعا نصْحَهُ ، ونَفَّذَا رَغبَتَهُ عَلَى كرْهٍ منْهُما إرْضاءً لَهُ ، ومُجَارَاة لَهُ فى تَفكيرِهِ .

وَواصَلُوا جَميعاً السَّيْرَ إِلَى أَنْ بَلَغُوا حِصْناً مُنْعَزلا ، وَوَجدُوا داخلَ ذَلِكَ الْحِصْن رَجُلًا كبيرَ السن يُرَى كأَنَّهُ أَخْرَس ، فلَمّا رآهُم لَمْ يَفُهْ بحرْفٍ ، ولمْ يَنْطِق بكلِمَةٍ ، ولٰكِنَّهُ قادَهُمْ إلى مائِدةٍ مُغطَّاة ، وعَليْها كثِيرٌ مِنْ أَلْوان الطَّعامِ والشَّراب ، فَأَكلُوا هَنيئًا ، وشَربُوا مَريئًا ثمّ قادَهُمْ إلى حُجُراتِ النَّوْم لِيَقْضُوا فِيها لَيْلَتَهُمْ .

وفى صَباح الْيَوْمِ التَّالى حَضَرَ الرَّجُلُ الكبيرُ السِّنِّ إِلى الْأَخِ الْأَكْبَر ، وأَشارَ إِلَيْهِ أَنْ يَتْبَعَهُ ، وقادَهُ إِلى نَضَد[1] مِنَ الرُّخام كتِبَ عَليْهِ ما يأْتِى :

« إِنَّ فى الْغابَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ الْبَلُّوطِ أَلْفَ لُؤْلُؤَةٍ فى

---

(١) نضد : مائدة .

صُنْدُوق صَغيرٍ مِنَ الْعاج ، سَبَقَ أَنْ فَقَدَتْها ابْنَةُ الْمَلك. ومَنْ يَعثُرْ عَلَيْها كلَّها فى يَوْمٍ واحِدٍ قَبلَ غُروبِ الشَّمْسِ فَإِنَّهُ يُنْقذُ هٰذا الْحِصْنَ مِنَ الْخَطَرِ السّحْرىِّ . ولٰكِنَّهُ إِذَا بَحَثَ ولَمْ يَنْجَحْ فى الحصُول عَلى اللُّؤْلؤ جَميعِه قَبْلَ غُروبِ الشَّمْس فإِنَّهُ يَصيرُ حَجَرًا » .

قَرأَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ هٰذِهِ الْكلِماتِ ، وصَمَّمَ فى أَنْ يحاولَ الْبَحْثَ عَن اللُّؤلؤ الْمَفْقُود . فَأَخَذَ يبْحَث طولَ الْيَوْمِ ، ولٰكِنهُ لَمْ يجدْ إِلى أَنْ غَربَتِ الشَّمْسُ إلاَّ مائةَ لُؤْلؤَةٍ ، فتَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ .

وعَلَى الرَّغْم مِنْ هٰذا عَزَمَ الْأَخُ الثَّانى على أَنْ يُحاولَ هٰذِهِ التَّجْربَةَ ، وبَدَأَ عمَلهُ فى الْمَساءِ ، وأَخَذَ يَبْحَثُ طولَ اللَّيْل والنَّهار . ولَمَّا آذَنَتِ الشَّمْسُ بالغُرُوبِ لَمْ يَجدْ إِلَّا مِائَتَىْ لُؤْلؤَةٍ فَقَطْ ، فتَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ كأَخيهِ الْأَكْبَر .

ثم جاءَ دَوْرُ الأَخ السَّاذَج ، فأَخَذَ يَبْحَثُ عَن

اللُّؤْلؤ ، وقد اسْتَوْلَى عليْهِ الْحُزْن ، ظَانًّا أَنَّ مَصِيرَه سَيَكونُ التَّحَوُّلَ إلى حَجَر كما تَحَوَّلَ أَخَوَاهُ حِينَ أَخفقا ولَمْ يَنْجحا .

وبَيْنَماهُوَ جالِسٌ يُفكِّرُ فى أَمْرِهِ إِذْ رَأَى مَلِكَ النَّمْل قادِماً نَحْوَهُ ، ومَعَهُ خَمْسَةُ آلافِ نَمْلةٍ ، فَلَمَّا وصَلَ إِلَيْهِ قالَ لَهُ : «إنَّنا مَدِينُونَ لَكَ بحَيَاتِنا ، فَقدْ أَنْقذْتَنا ، وأَنْقَذْتَ مَسْكَنَنا ، والآنَ وجَبَ عَلَيْنا أَن نَرُدَّ إِلَيْكَ الْجَمِيلَ » . وأَخَذَ النَّمْلُ يبْحَثُ عَن اللُّؤلؤ ، وسَرْعانَ ما وجدَ الّلآلِئَ الأَلْفَ ، وجَعَلَها فى كومَةٍ كبيرَةٍ . ثم ذَهَبَ إلى مَسْكَنِه غَيْرَ مُنْتَظِرٍ جَزاءً ولا شُكورًا . وشَمِلَهُ (أَىْ عَمَّهُ) مِنَ السُّرُور ما شملَهُ ؛ لأَنَّهُ استطاعَ أَنْ يَرُدَّ الْجَمِيلَ ، ويَجْزىَ الإِحْسانَ بالإِحْسانِ ، ويعْملَ الْواجبَ نحْوَ مَنْ سَبقَ فَضْلُهُ ، وجلّتْ أَيادِيه ونِعَمُهُ .

ولَمَّا رَجَعَ الْوَلَدُ السَّاذَجُ إلى الحِصْن ومَعَهُ اللُّؤْلُؤُ

كُلُّه كُلِّفَ الْقِيامَ بعَملٍ آخَرَ وهُوَ أَن يُحْضِرَ مِنْ قَعْر الْبُحَيْرَةِ مِفْتاحاً لِحُجْرَةِ الأَميرة ، كانَ قَدْ وقَعَ منْها فى إِحْدَى جوْلاتِها ورحَلَاتِها فى الْبُحَيْرَة .

فلَمْ يَأْمُلْ طَبعاً أَن يَفْعَلَ هٰذا بنَفْسِه ؛ ولَكِنهُ حينما ذَهَبَ إلى الْبُحَيْرَةِ وجَدَ هُناكَ الْبَطَّ الَّذى أَنْقَذَهُ مِن الْقَتْل ، فعَرَفَه الْبَطُّ فى الحال ، وسأَلَهُ عَنْ رَغْبَتِه ، فأَظْهَرَها لَهُ . فأَسرَعَتْ بَطَّةٌ وغَطسَتْ فى الْماءِ إلى قَعْر الْبُحَيْرَةِ ، وأَحْضَرَتِ الْمِفْتاحَ ، وسلَّمتْهُ إِيَّاهُ ، فرَجَعَ إلى الْحِصْن .

ثمَّ طُولبَ بشَيْءٍ ثالِثٍ هُوَ أَصْعَبُ الأَشْياءِ جَمِيعها ؛ ذلكَ أَنْ يَذْهبَ إلىالحُجْرَةِ الَّتى يَنامُ فيها بَناتُ الْمَلكِ الثّلاثُ ، ويَبْحَثَ عَن الصُّغْرَى منْهُنَّ ، فيُوقظَها . وكانتِ البَناتُ الثّلاثُ ، شَديداتِ الشَّبَهِ ، لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ أَنْ يُمَيِّزَ إِحْداهُنَّ مِنَ الأُخْرَى . وكانَتِ الْعلامةُ الْوَاحِدَةُ التىرُبما تُمَيِّزُهُنَّ أَنَّهُنَّ قَبلَ ذهابهنَّإلى الْفِرَاش

تناولْنَ قِطَعًا مُختَلِفَةً مِنَ الْحَلْوَى ، فَكُبْراهنَّ تَنَاوَلَتْ قِطْعَةً مِنَ السُّكَّر ، والثَّانِيةُ قِطعةً مِنَ الْحَلْوَى ، والصُّغْرى مِلْعَقَةً مِنْ عَسَل النَّحْل . وكلُّها مَوَادُّ مُتَشابِهَةٌ يَصْعُبُ التَّفْريقُ بيْنَهَا .

فَتَحَيَّرَ السَّاذجُ فى أَمْره . وبَيْنَما كانَ يُفكِّرُ فِيما يَجبُ أَن يَفْعَلَهُ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ مَلِكةُ النَّحْل الَّتى تَذْكرُ لَهُ سالِفَ خِدْمَتِه فى دَفع الأَذَى عَنْ خَلِيَّتها ، وقالَتْ لَهُ : «لا تخَفْ ولا تحْزَنْ؛ فإِنِّى سأَصْحَبُكَ ، وسأُعَرِّفكَ بسُهولَةٍ الأَمِيرَةَ الصُّغْرَى الَّتى تَناولَتْ عَسَلَ النَّحْل» . وذهَبَتْ مَعهُ وشمَّتِ الأَخوَاتِ الثَّلاثَ ، ووَقَفَت عِنْدَ الصُّغْرَى فَعَرفَها ، فأَيْقَظَها ، وتَحَرَّرَ الْحِصْنُ ، وأُنْقِذَ مِنْ قُيُودِهِ السِّحْرِيةِ فى لَحْظَة . ورَجَعَ أَخوَاهُ كما كانا بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَا مِنْ قَبلُ إِلى حَجَرَيْن .

وفى النِّهايةِ عَرَفَ الأَخوَانِ أَنَّ أَخاهُما الأَصْغَرَ خيْرٌ منْهُما طَوِيَّةً ، وأَصْفَى نِيَّةً ، وأَنَّ التَّوْفيقَ مُلازمٌ له ، وأَنَّهُ قَدْ بلَغَ بأَنَاتِه وتَمَهُّلِهِ وهُدوئه ، وطَهارَةِ قَلْبَه ما لَمْ يَبْلغاه بدَهائِهما ومَكرهما وحِيلَتِهما ، وعَظِم ذَكائهما .

الفهرس

رقم الإيداع	١٩٧٨/٤٧٥٧
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ – ٢٤٧ – ٤٥٠ – ٦

١/٧٨/٢٧٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

المكتبة الحديثة للأطفال

المجموعة الأولى

لتلاميذ من سن ٨ سنوات فأكثر

(١) يوم سعيد	(٢) الطفلان اليتيمان	(٣) الراعى الأمين
(٤) النمر الأسود	(٥) جميلة والوحش	(٦) زوجة الأب
(٧) الأميرة الصامتة	(٨) السمكة الذهبية	(٩) الدجاجة الخائفة
(١٠) العصفور المغرور	(١١) القرش الضائع	(١٢) الصندوق الزجاجى
(١٣) الأميرة الحسناء (سنوهويت)	(١٤) راعية الإوز	(١٥) الأبناء الثلاثة
(١٦) البنت النبيلة	(١٧) لعبة الأميرة	(١٨) القصر الذهبي
(١٩) المصباح الأزرق	(٢٠) الابن النبيل	(٢١) الحمامة النبيلة
(٢٢) شهربان الصغيرة	(٢٣) البنت الوحيدة	(٢٤) الصديقات الثلاث
(٢٥) القلم الذهبي الجديد	(٢٦) الثعلب الحزين	(٢٧) الحزام السحرى
(٢٨) حورية البحر	(٢٩) الكلب الوفى	(٣٠) نسيان الجميل

المجموعة الثانية

لتلاميذ من سن ١٠ سنوات فأكثر

(١) بنت قاطع الخشب	(٢) سيف العدالة	(٣) الحظ السعيد
(٤) مثال الرحمة	(٥) الشاب الوفى	(٦) الأبناء جواهر الأم
(٧) الأميرة المدبرة	(٨) حارسة الورد	(٩) البطل الشجاع
(١٠) الأمير شفيق	(١١) الفيلسوف الزاهد	(١٢) الوطنية الصادقة
(١٣) زهرة السنط	(١٤) الجندى المجهول	(١٥) حلم يتحقق
(١٦) الفارس النبيل	(١٧) تحرير الوطن	(١٨) الأمير حسن
(١٩) الموسيقيون الثلاثة	(٢٠) تأديب الأميرة	(٢١) الشاب الشجاع
(٢٢) الأخ الأصغر	(٢٣) النظام سبب النجاح	(٢٤) الضعيف يغلب القوى
(٢٥) الصبر سبيل النجاح	(٢٦) الاتحاد قوة	(٢٧) الدب الخائن
(٢٨) الصياد المسكين	(٢٩) الكنز المفقود	(٣٠) الفقير النبيل

ص ٤٥

٢٠٤١٢٩/٥